الساميّة

في مؤتمر ثقافات البحر المتوسط بمونا كو

بيانه جاستون زنانيري

مع مقدمة وتعليق لفليكس فارس

في أول نوفمبر من العام المنصرم عُقد في موناكو مؤتمرٌ دولي لدراسة الثقافات القديمة التي نشأت في البلدان المحيطة بالبحر الابيض المتوسط ، وكان المجمع الذي دعا الى عقد هذا المؤتمر يحصر مهمتهُ من قبل في درس الآداب اللاتينية غير ملتفت الى الآداب الساميّة التي أثارت العالم من الشواطىء الآسيوية . واذا ما علمنا أن القائمين بهذا المجمع هم امثال بول فاليري وهانوتو ودانوزيو ادركنا مكانتهُ في عالم الادب اللاتيني

غير ان الانظار اتجهت مؤخراً الى الحركة الادبية في البلاد العربية فدعي الى المؤتمر الاستاذ جاستون زنانيري عن مصر والاستاذ شارل قرم عن لبنان وسوريا ، وهكذا لقي هذين الادبيين بمعارفهما الواسعة واقتدارهما باللغة الفرنسية ان يمثلا ثقافة البلاد العربية في اللجنة التي خصت لدرس الآداب السامية في الشرق الادنى وان يسمعا صوتهما في المؤتمر العام

لقد ذكرت الجرائد اليومية انعقاد هذا المؤتمر ونوّهت على وصف ما دار فيه من ابحاث وتناولت البيان الذي قدمه الاستاذ زنانيري بتحليل موجز ، وقد تمنت جريدة المقطم الغراء لو يترجم هذا البيان الى اللغة العربية لينشر في مجلة علمية ، فرأيت ان انزل عند رغبتها ، فترجمت البيان وهو كما سيرى القراء موضوع بالاسلوب العلمي الموجز الدقيق ويتضمن من المطالب ما يفتح مجالاً وسيعاً لاقلام المفكرين في هذا الشرق العربي الذي يمثل لاول مرة بثقافته السامية في مؤتمر جلُّ اعضائه من الباحثين بالحضارة الغربية المتخلين بما في بلادنا من قطرة ومؤهلات

إن بيان الاستاذ زنانيري يتضمن من المبادىء ما يصح ان يبنى عليه دستور النهضة التي يتطلع اليها ابناء الاقطار الممتدة من الشرق بالبحر المتوسط على اختلاف مذاهبهم لانه اذا كان لكل من هذه المذاهب (قانون ايمانه) يأخذ به الوجدان في العقيدة الدينية فاننا نرى في الوحدة الروحية التي صدع بها الاستاذ زنانيري اعداء الساميّة (قانون ايمان واحد) للعقيدة المدنية التي يتفق الجميع عليها لاقامة حضارة يستعيدون فيها مجدهم الغابر ومقامهم الاعلى بين الشعوب

بيان عن الساسية

١ — الساسية

المبدأ — إنّ الساسية أو بالاحرى نهضة ثقافتها ، إنما هي مبدأ يتخذ قوّة العقيدة في الزمن الذي تتجه الافكار فيه نحو مسألة السلالات . غير أنّ السلالة الساسية لم تسلم من الاختلاط ، لذلك لا يصح أن ينظر الى المبدأ الساسي كقضية ترمو على وحدة الجنس بل على وحدة إجتماعية وروحية . وإذا ما اعتبرت الساسية على هذا الوجه فانها لتعدو قضية السلالة المفروضة التي تقوم أساساً على اعتبارات المميّزات البدنية

الوحدانية — ان قاعدة الساسية إنما هي الوحدانية ، أي الاعتقاد بالقوة الازلية الأبدية ، بالجوهر الاكمل المحجوب المتعالي على كل وصف وتحديد ، بالمبدأ الغير المتناهي ، الواحد الاحد الواحد الصمد الذي لا يتجزأ ، وهو مصدر الكائنات ومرجعها ، واعتبار هذه القوّة ناموساً لنظام الكون وشريعة ادبية عامة للناس اجمعين . فعلى اليهودية والمسيحية والاسلامية ، إذاً ، يجب أن تقوم النهضة الساسية ، فتجمع الوحدانية الكامنة فيها بين شعوبها التي سادها التقاطع من مناحيها الاجتماعية لا من مناحيها الفكرية وتقاليدها وثقافتها

الوحدة الاجتماعية — تتكون الساسية من مجموع عوامل ليس من السهل ان يفصل بينها وهذه العوامل هي

(الموقع) — نشأت الساسية من أنجاد الشعوب التي جاءت من مختلف الجهات فنزلت في جزيرة العرب وفلسطين وسوريا ووادي الفرات والنيل والشواطىء الشرقية للبحر المتوسط وشواطىء البحر الاحمر

(الثقافة) — إنّ الثقافة والتوحيد الساميين أوجدا التقاليد المنطبقة عليهما فأصبحا غرائز فكرية في من قطن هذه البلدان من شعوب ارتقت في ظل اليهودية والاسلامية كما ارتقت في ظل النصرانية الشرقية التي تتولى البطريركيات فيها الفصل في الاحوال الشخصية

(اللغة) — إنّ للعبرية والسريانية طابعاً واحداً ، وهنالك لغات أخرى لها هذا الطابع نفسه وقد قصر استعمالها في الرتب الدينية كالسريانية والآشورية والكلدانية

(الفلسفة) — لقد تعاون العرب واليهود تعاوناً وثيقاً على مدى الاحقاب في البحوث الفلسفية مما ادى الى انتشار الثقافة الساسية في أوربا بل والى صدور تآليف يتجلّى الإلهام الشرقي فيها

(التاريخ) — ان الممالك الساسية ازدهرت في بلدان البحر المتوسط في الشرق الادنى وكانت الجهود مشتركة في تاريخ الشرق بين اليهود والنصارى والمسلمين وجميعهم ينتمون بنسب الى الساسية

(عامل عام) — وتضاف الى هذه العوامل الجامعة الروحية الخاصة بالساسية ، وهي بصفاء مبادئها الادبية تتجاوز الوحدات الاجتماعية الى الوحدة الانسانية بعقيدتها بالوحدانية وبإيمانها وتقاليدها وثقافتها وفكرتها الاساسية بالوحدة الشاملة وتلك عوامل تفوّق ولا ريب على سائر المبادىء التي تسود البشرية

للسامية بُعدٌ مظهرها من حيث الواقع ومظهرها من حيث الشمول

السامية من حيث الواقع — اما وقد نشأت السامية من عوامل الموقع والثقافة واللغة والفلسفة والتاريخ ، فقد وجب أن تنشر على اساس صحيح من المبادىء الجديدة بين الامم التي ظهرت ما بين النيل والفرات. فان الحضارات القديمة : المصرية والبابلية والفينيقية والاسرائيلية انما تجلّت بين هذين الحدّين حيث نشأت السامية الاصلية القديمة فانتشرت أولاً بين القبائل الرُحّل متأثرة بالنظام الواقع الذي أخذه المجتمع عن نظام الاسرة المقدس وعن حرمة القبائل واكرامها للضيف

السامية من حيث الشمول — اما وقد ظهرت السامية ملهمة بالمبادىء الأدبية العالية فقد وجب ان تشمل الانسانية كلها . ان القوى الخفية تحلّق فوق الشعوب فترفع مستواهم وتسمو بعواطفهم وافكارهم ، فهي الهادية للناس اجمعين لانها تجتاز تخوم الاوطان وتتشى مع التقاليد سائدة بمبدإ ثابت لا يتغير ، هو مبدأ الإخاء الروحي

٢ — عداء السامية

لهذا العداء ثلاثة مظاهر ١ — العداء للسامية باعتباره موجهاً ضدّ اليهود . ٢ — العداء للسامية باعتباره عداء للشرق موجهاً ضد السامية

إذا كان يبدو لنا في الواقع ان الساميين من غير اليهود لم يستهدفوا للمعارضة في ممالك الغرب كما استهدف اليهود انفسهم ، وان الحكومات المعادية للسامية لم تضطهد سوى اليهود دون العرب والمصريين والسوريين والفلسطينيين والعراقيين والاحباش وسواهم ، فما كان ذلك الاّ لان اكثرية هذه الشعوب لم تبرح مواطنها ولهذا السبب يتجلى عداء السامية في العالم في مظهر الاضطهاد لليهود . ان هذه الهوة التي يفتحها الغرب بينهُ وبين الشرق على ما فيهِ من مختلف المذاهب انما هو الدليل على ما تضمره بعض ممالك اوربا واميركا نحو الشعوب التي تمت بأصلها الى السامية واجلى ما يمثل شعور الغرب فيهِ نحوها ما نراه من اعتقاده بتفوقهِ عليها بالقوة الفكرية

٣ — العداء للسامية باعتباره مقاومة لافكار الساميين والهامهم : ان قوة السامية ترسو على مبادىء الآداب التي لم يحتفظ بها اليهود في تشتتهم فحسب ، بل احتفظ بها ايضاً المسلمون في مراحل انتشار الاسلامية كما احتفظ بها النصارى في تقاليدهم السامية او بأخذهم بروح الكتب المنزلة في حياتهم ، وما هذه الكتب الاّ الركن المكين للسامية . وعلى هذه الاعتبارات يصبح العداء للسامية منطوياً على تهديد للآداب التي نشأت من الالهام السامي

٣ — الثقافة السامية

إن الثقافة السامية التي اجتاحت العالم صادرة عن بغداد والقاهرة وقرطبة انما كانت مزيجاً من الثقافتين العربية والعبرانية فكانت تحمل طابع السامية والفلسفة اليونانية . وكان المتفوقون

من ناشريها يعرفون العربية والعبرانية ومنهم العرب المسلمون والعرب المسيحيون واليهود

وقد تجلت هذه الحركة الفكرية بخاصة في اسبانيا واكس وايطاليا . وهكذا فان الحضارة السامية العربية واليهودية سادت التفكير الآري في اوربا. فذلك لا بدّ هذه الثقافة المزدوجة التي عززت الحضارة الاوربية مثل هذه الحوافز من أن تبعث مجدداً حاملة الفكرة السامية فتخلق نهضة في مناحي التفكير . على انه يلوح لنا ان ليس هذه النهضة ان تبلغ الازدهار ما لم تضم الى مبادئها الساميّة الصرفة التفكير الذي استلهمه اليونان الاولون ، كفلسفة فيثاغورس وأفلاطون التي تجلت فيها بعد في تفكير فيلون والقديس اوغوسطينوس وكمبادىء ارسطاطاليس التي تجلت في تفكير ابن رشد والفارابي وابن اسبيد ، وتتشرب ايضاً مبادىء المتجلدين في عصر اليونان وعصر الرومان ، وما هي الاّ المبادىء التي اتسمت بها ثقافة بلدان البحر المتوسط فتجلت في فلسفة ابكتيتوس وماركوس اورليوس وآباء الكنيسة الاولين . وأن التفكير الساميّ ، بعد ان مرّ بحضارة يونانية لاتينية نشأت في الاصل من الآرية ، انتشر في اوربا داعماً الحضارة الغربية التي ارتقت على اساسيْ الساميّة الصافية والآرية المرتقية . ان ثقافة تستلهم مثل هذه المبادىء يمكنها ان تسود الافكار لتدفع بها الى اتجاه جديد

٤ — الآداب الساميّة

لا يقوم الدين الاّ بالآداب ، ويتوقف انتشاره على سهولة الاخذ بها ، لذلك انتشرت الآداب السامية بسرعة في العالم ملتية الى المجتمع بالمبادىء العامة التي تقوم الانسانية عليها . وإن مبدأ النهضة السامية لا يتجه الى الحط من مقام عقيدة تجاه عقيدة اخرى اذ ليس هنالك سوى ثلاثة مبادئ منحدرة من آداب واحدة فعلى اليهودية والنصرانية والاسلامية ان تعمل عملها الاخلاقي لتسيم الحضارة الساميّة ناشرة على العالم المتداعي حيوية تواتما المتجددة . وهل يمتنع على هذه الشعوب التي نشأت بينها ثلاثة اديان سامية ان تواجه بنظرة واحدة طلائع مستقبل يشملهم جميعاً بوحدته . إن الدين شعور كامن في النفس متشرب بالآداب يسود جميع الافكار ايّاً كان مذهبها ، وما يقوم الدين على السنن والبراهين اللاهوتية أكثر من قيامه على ما يصلح الحياة في المجتمع . لذلك وجب ان يرسو على التفكير الادبي لتنظيم الحياة نفسها

ان ما تناولناه من الساميّة في بحثنا هذا انما هو القواعد التي يجب ان ينشأ منها ارتقاء الآداب والتفكير بصرف النظر عن اي اعتبار ديني من حيث المذاهب . أنما الدين عقيدةٌ في النفس يجب الاحتفاظ بها والحرص عليها لانها واجب الانسان تجاه نفسه وتجاه المرجع الذي صدر عنهُ ، فالدين دعوة من اعماق الوجدان يهيب بالناس الى معرفة انفسهم والاعتراف بالاخاء الانساني العام

يتبع في العدد القادم : تعليق فيلكس فارس على الموضوع